(١)

النظافة سلوكٌ حضاريٌ وإنسانيٌ

الحمد لله ربِّ العالمين ، القائلِ في كتابهِ الكريم: {يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيَّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد:

فلقد اهتم الإسلام بأمر النظافة اهتمامًا بالغًا يتناسب مع أهميتها كسلوك إنساني، وقيمة حضارية، وضرورة شرعية، وركيزة أساسية في الحفاظ على البيئة التي خلقها الله (عز وجل) وأمر الإنسان بالحفاظ عليها وتنميتها، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا}، ويقول سبحانه: {هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا}.

ولا شك أن النظافة عنوان الحضارة الراقية ، ودليل النُبل والمروءة الآدمية، والبيئة النظيفة دليل على رقي من يعيش بها ؛ لذا فقد أمر الإسلام أتباعه بالنّظافة، وحثَّهم عليها، ورغّبهم فيها، وجعلها سبيلًا إلى محبة الله (عز وجل)، فقد امتدح الحق سبحانه وتعالى أهل مسجد قباء لحرصهم على الطهارة والنظافة ، فقال جل شأنه: {لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ}، وقد بيّن نبينا (صلى الله عليه وسلم) أن الطهور نصف الإيمان، أي نصف الدين، فقال (صلى الله عليه وسلم): (الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ).

ولقد جعل الإسلام الطهارة والنظافة الكاملة للجسد والثوب والمكان جزءًا لا يتجزأ من شرائعه، فلا يخفى على أحد أن الطهارة شرط لقبول أهم عبادة في حياة المسلم، والركن العملي الأول في الإسلام بعد الشهادتين ألا وهي الصلاة ، قال

تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا}، وقال (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ لَا يَقْبَلُ صَلَاةً بِغَيْرِ طُهُورٍ، وَلَا صَدَقَةً مِنْ غُلُولٍ).

وكما اعتبرت الشريعة الإسلامية النظافة سببًا لمحبة الله تعالى ، حيث قال سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ}، فقد أخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) في حديثه الصحيح أن عدم الطهارة من البول وحسن الاستبراء مِن أسباب سخط الله (عز وجل) ، فحينما مرَّ النبي (صلى الله عليه وسلم) بِقَبْرَيْنِ ، قَالَ : (إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ) ، وفي رواية : (إِنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ ، أَمَّا هَذَا فَكَانَ لَا يَسْتَنْزِهُ مِنَ الْبَوْلِ ، وَأَمَّا هَذَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ) .

ويتضح اهتمام الإسلام بالنظافة في أمره للمسلم بالقيام بها في كل تفاصيل حياته ؛ وذلك لأن حسن المظهر ، وطهارة الظاهر غالبًا ما تكون دليلًا على حسن المخبر وطهارة الباطن ، ومن ذلك :

* **الترغيب في نظافة الملبس**، فبعد أن أمر الله (عز وجل) رسوله (صلى الله عليه وسلم) بإنذار قومه، وأمره بذكره وتمجيده أمره بتطهير ثوبه ، فقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) وكان هذا من أول ما نزل على النبي (صلى الله عليه وسلم) ، فقد قرن الله (عز وجل) الأمر بطهارة الثوب بهذه الأوامر العظيمة لأهمية الطهارة والنظافة ؛ ولأنها صفة يحبها الله (عز وجل) ، وعندما رأى النبي (صلى الله عليه وسلم) رجُلاً عليه ثيابٌ غير نظيفة ،

قال مستنكرًا: (أَما كان هذا يجدُ ما يَغسِلُ به ثوبَهُ؟).

* **الحث على الاغتسال يوم الجمعة وفي العيدين** ، مع التوسع في الاغتسالات المسنونة ، فقد حثت الشريعة الغراء على الطهارة والنظافة لا سيما في أوقات اجتماع الناس في مناسباتهم ، يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (غُسْلُ يَوْمِ الجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ) ، وعن عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) قَالَتْ : (كَانَ النَّاسُ مَهَنَةَ أَنْفُسِهِمْ – خدم أنفسهم– ، وَكَانُوا إِذَا رَاحُوا إِلَى الجُمُعَةِ ، رَاحُوا فِي هَيْئَتِهِمْ – على حالتهم من التعرق وغيره– فَقِيلَ لَهُمْ: لَوِ اغْتَسَلْتُم) .

* **النظافة الشخصية** ، كتقليم الأظافر والإتيان بسنن الفطرة ، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ: (وُقِّتَ لَنَا فِي قَصِّ الشَّارِبِ، وَتَقْلِيمِ الْأَظْفَارِ، وَنَتْفِ الْإِبِطِ، وَحَلْقِ الْعَانَةِ، أَنْ لَا نَتْرُكَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً).

* **الأمر بالسواك** ، تنظيفًا للأسنان ، وحرصًا على طِيب رائحة المسلم ، فقد قال (صلى الله عليه وسلم) : (السِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ ، مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ).

* **الحث على اهتمام الإنسان بهيئته ومظهره** ، وهذا من محاسن ما دعت إليه الشريعة الإسلامية ، فعن جابرِ بنِ عبدِ الله (رضي الله عنهما) ، قال: أتانا رسولُ الله (صلَّى الله عليه وسلم) فرأى رجُلاً شعِثًا قد تفرَّقَ شَعرُهُ ، فقال: (أما كان هذا يَجدُ ما يُسَكِّنُ به شَعْرَهُ؟).

* **الأمر بالتطيب:** فقد قال النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ الْغُسْلُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَيَلْبَسُ مِنْ صَالِحِ ثِيَابِهِ، وَإِنْ كَانَ لَهُ طِيبٌ مَسَّ مِنْهُ)، وقال (صلى الله عليه وسلم) : (لَا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ثُمَّ يَمَسُّ مِنْ دُهْنِهِ أَوْ طِيبِ أَهْلِهِ ثُمَّ يَأْتِي الْمَسْجِدَ وَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ ثُمَّ يُنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الْإِمَامُ إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى)، بل ونهى نبينا (صلى الله عليه وسلم) عن إزعاج الإنسان غيره بأي رائحة

كريهة من شأنها أن تنفر الناس منه، حيث نهى مَن أكل ثومًا أو بصلًا عن حضور صلاة الجماعة على الرغم من عظم أجرها، وكبير ثوابها، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (منْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا، فَلْيَعْتَزِلْنَا -أَوْ قَالَ: فَلْيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا- وَلْيَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ) .

وكذلك يتضح اهتمام الإسلام بأمر النظافة من توجيه النبي (صلى الله عليه وسلم) أمته بتنظيف المساجد وأفنية البيوت وتطهيرها، فعَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) قَالَتْ : أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِبِنَاءِ الْمَسَاجِدِ فِي الدُّورِ (أي في الأحياء) وَأَنْ تُنَظَّفَ وَتُطَيَّبَ ، وقال (صلى الله عليه وسلم) : (طَهِّرُوا أَفْنِيَتَكُمْ) ، وكانت امْرَأَةً تَقُمُّ الْمَسْجِدَ فَفَقَدَهَا رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَسَأَلَ عَنْهَا ، فَقَالُوا: مَاتت، فقَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (أَفَلَا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي) ، فَدَلُّوهُ على قبرها فَصَلَّى عَلَيْهَا النبي (صلى الله عليه وسلم) .

ولم يقف الأمر بالنظافة عند حد الأمر بالنظافة الشخصية ، أو نظافة المساجد والبيوت فحسب ، بل وصل الأمر إلى التوجيه بتنظيف البيئة التي يعيش فيها الإنسان ويتفاعل معها ، وقد تكون هذه البيئة طريقه الذي يسير فيه، أو مدرسته وجامعته التي يتعلم بها، أو مكانًا عامًّا يقضي من خلاله مصالحه، أو يتنزه فيه ، وقد عني الإسلام عناية خاصة بتنظيف الطرق والأماكن العامة وإزالة الأذى عنها وجعلها بابًا واسعًا من أبواب الخير ، فإماطة الأذى عن الطريق صدقة ، وإماطة الأذى عن الأماكن العامة صدقة ، فعنْ أَبِي بَرْزَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ مُرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ ؟ قَالَ : (أَمِطِ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ) ، وفي رواية قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ ؟ قَالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (أَمِطِ الْأَذَى عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ) .

بل لقد أخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) أن تنظيف الطرق من الأذى سبب في دخول الجنة ، فأذى الناس في طرقاتهم أو في أماكنهم العامة سبب في لعن من يفعله، ومدعاة لغضب الله (عز وجل) عليه ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلاً يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ كَانَتْ تُؤْذِى النَّاسَ) ، وقال (صلى الله عليه وسلم) : (اتَّقُوا الْمَلاَعِنَ الثَّلاَثَ: الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ وَالظِّلِّ) ، وفي هذين الحديثين دلالة واضحة على أن تلوث الطرق بإلقاء القمامة ونحوها من سائر الملوثات والقاذورات يعاقب عليه صاحبه ، وأن إزالة الأذى عن الطريق من أعمال البر التي تدخل العبد الجنة.

فالنظافة سلوك قويم ينبغي أن نأخذ أنفسنا به وأن نعود أبناءنا عليه ، وأن نربيهم على خدمة الوطن وخدمة المجتمع ، فخدمتهما شرف كبير وعمل نبيل ، كما ينبغي أن نعودهم على النظافة والنظام منذ الصغر ، وعلى مراعاة الذوق العام والآداب العامة ، واحترام حقوق الآخرين ، وعدم إيذائهم بأي لون من ألوان الأذى ، وأن أخطر وأشد أنواع الأذى في ذلك هو ما يمكن أن يصيب الناس في صحتهم أو يلوث مياههم ، فإلقاء المخلفات صلبة كانت أو سائلة في النهر أو المجاري المائية من أشد ألوان الأذى العام الذي ينبغي البعد عنه وعدم الوقوع فيه، والشعب المصري أولى شعوب الأرض بالتمسك بهذا السلوك الحضاري وهذه التعاليم الإسلامية العظيمة ، لأننا شعب عريق في الحضارة التي تدعو إلى الأناقة والجمال ، والبعد عن كل ما يؤذي وينفر ولا يقره الذوق ولا الطبع السليم ، فحضارة الإسلام هي حضارة الجمال بكل معانيه ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ الله جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ) .

ولقد كانت ثقافة المجتمع المصري قائمة على النظافة وعدم تلويث المياه منذ قديم الأزل ، فقد أثبت التاريخ أن حفاظ المصري القديم على نعمة مياه نهر النيل، وعدم تلويثها، واعتبار تلويثها جريمة من الجرائم الكبرى، وكان يكتب من ضمن وصاياه في نهاية حياته أنه لم يفعل كذا وكذا من الجرائم ، وأنه لم يلوث ماء النهر ، وكأنه يتقرب إلى الله (عز وجل) بهذه الفضيلة ، وابتعاده عن تلك الجريمة النكراء ، جريمة تلويث مياه النهر .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

لقد أعلى الإسلام من شأن النظافة كمظهر حضاري، وسلوك راقٍ حتى عدها النبي (صلى الله عليه وسلم) شعبة من شعب الإيمان ، فقَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ) ، ولقد توارث الصحابة (رضوان الله عليهم) هذا المنهج النبوي، وأصبح ثقافة إنسانية إسلامية يتعاملون بها، ويحثون الناس عليها، ويرغبونهم في القيام بها ، ولَمَّا قَدِمَ أبو موسى الْأَشْعَرِيُّ (رضي الله عنه) الْبَصْرَةَ، قَالَ لَهُمْ: (إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ لِأُعَلِّمَكُمْ سُنَّتَكُمْ ، وَإِنْظَافَكُمْ طُرُقَكُمْ) .

ولا شك أن حرص الإسلام على نظافة البيئة المحيطة بالإنسان هدفه أن تكون البيئة التي يعيش الإنسان فيها خالية من الأمراض التي تؤثر على صحته التي هي نعمة من أجل نعم الله على العبد؛ لأن الأمراض إذا انتشرت في مجتمع لا يقتصر ضررها على شخص دون آخر ، وإنما تؤثر سلبًا على حياة الناس جميعًا ، فمن المعلوم أن أضرار التلوث ليست قاصرة على الإنسان وحده ، بل تتعداه إلى جميع المخلوقات ؛ لذا فقد جاء النهي عن التلوث بجميع صوره حفاظًا على الفرد والمجتمع وسائر المخلوقات .

وكما كان الإسلام حريصًا على الطهارة الحسية بكل صورها ، كان حريصًا على الطهارة المعنوية بكل معانيها ، كطهارة العقيدة من كل الخرافات التي تلصق بها، وطهارة الأخلاق من الرذائل والمنكرات ، وطهارة اللسان من كل القبائح والآثام ، وطهارة الفكر من التطرف والانحراف ، وكذلك طهارة القلوب من الغل والحقد والحسد والكراهية ؛ لأن كل هذه الصفات لا تليق بالمسلم الذي يريد النجاة في دنياه وعقباه ، فيجب على العبد العمل على طهارة ظاهره ، وإصلاح باطنه ، فينتفع في دينه ودنياه وآخرته .

اللهم احفظ مصرنا ، وطهر قلوبنا ، وهذب ألسنتنا ،
وارض عنا رضا لا تسخط علينا بعده أبدا .